القواعد الدعوية المتعلقة بالأخلاق

دراسة وتطبيق

عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الغامدي [1]

الملخّص

هذا البحث بعنوان: القواعد الدعوية المتعلقة بالأخلاق – دراسة وتطبيقا، ويجيب هذا البحث عن الأسئلة التالية: ما القواعد الدعوية المتعلقة بالأخلاق؟، ما أهمية القواعد الدعوية المتعلقة بالأخلاق بالنسبة إلى الدعوة إلى الله؟، ما الأصول التي تنطلق منها وتعود إليها القواعد الدعوية المتعلقة بالأخلاق؟، وقد قسمت البحث إلى مبحثين، وتحت كل مبحث عدد من المطالب، وهي: المبحث الأول: خلق الرحمة، وفيه ثلاثة مطالب؛ المطلب الأول: القاعدة وشرحها، المطلب الثاني: الاستدلال على القاعدة، المطلب الثالث: التطبيق على القاعدة، المبحث الثاني: خلق الرفق، وفيه ثلاثة مطالب؛ المطلب الأول: القاعدة وشرحها، المطلب الثاني: الاستدلال على القاعدة، المطلب الثالث: التطبيق على القاعدة ، ثم النتائج؛ وفيها: أن علم الدعوة إلى الله تعالى: علم منضبط له قواعده وضوابطه، وأن الأخلاق ركن رئيس من أركان الدعوة، ولهذا الركن قواعد معتبرة يجب على الدعاة إلى الله تعالى العمل بها، وأن الدعوة إلى الله تعالى قائمة على خلقين رئيسيين؛ وهما: خلق الرحمة، وخلق الرفق، وأن من مقاصد الدعوة إلى الله تعالى عند تبليغهم دين الله تعالى: رحمتهم؛ وذلك بإنقاذهم من عذاب الله تعالى الذي أعده للمعرضين عن دينه، وأن الأصل في الدعوة إلى الله تعالى أن تكون بالرفق، ولا يلجأ الداعية إلى الشدة إلا إذا تعذرت الدعوة بالرفق، ثم التوصيات، وفيها: أوصي الدعاة إلى الله تعالى بأن يرحموا الناس؛ وذلك بتبليغهم دين الله تعالى، وأن يكون هدفهم الأساس من نشر الدين بين الناس الرحمة والشفقة، وأوصي الدعاة إلى الله تعالى أن يجعلوا الرفق هو الأصل في الدعوة إلى الله تعالى، ولا يلجأوا إلى الشدة إلا إذا دعت الضرورة لها، وأوصي الباحثين في علم الدعوة إلى الله تعالى أن يولوا القواعد الدعوية مزيد اهتمام وعناية، وبحث واستنباط، سواء كانت تلك القواعد متعلقة بالأخلاق أو بغيرها من أركان الدعوة، وأوصي الباحثين بدراسة القواعد الدعوية التي استنبطها العلماء، وأن يدرسوها دراسة تأصيلية وتطبيقية، ثم قائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: القواعد – الدعوية – الأخلاق – دراسة – تطبيق.

[1] الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية جامعة أم القري. <ksa.gh@hotmail.com>

Ethics advocacy rules

Study and application

Abdul Rahman bin Abdullah bin Mohammed al-Ghamdi

Abstract

This research is entitled: The rules of advocacy relating to morality - study and application, and this search answers the following questions: What are the rules of advocacy concerning morality?, what is the importance of the rules of advocacy relating to morality in relation to the call to God?, what are the origins from which the rules of the case concerning ethics are based? The first is: Creating mercy, and there are three demands: the first demand: al-Qaeda and its explanation, the second requirement: inference of the rule, the third requirement: application to al-Qaeda, the second: creating kindness, and there are three demands; Inference of the rule, the third requirement: application to al-Qaeda, and then the results, in which: that the science of the call to Allah Almighty: a disciplined science with its rules and controls, and that morality is one of the pillars of the call, and this corner is considerable rules that the preachers of Allah must act In it, the call to Allah is based on two main creations: the creation of mercy, the creation of kindness, and one of the purposes of the call to Allah Almighty when they inform them of the religion of Allah Almighty: their mercy, by saving them from the torment of Allah Almighty, which he prepared for those who are exposed to his religion, and that the origin of the call to Allah is to be kind, and the call to distress is only if the call for kindness cannot be made, and then the recommendations, and in it. I recommend that the preachers of Allah have mercy on the people by informing them of the religion of Allah Almighty, and that their main purpose should be to spread religion among people mercy and compassion, and I recommend the preachers to Allah almighty to make kindness the origin of the call to Allah Almighty, and not to resort to distress unless necessary, and I recommend researchers in the science of preaching to Allah to give more attention and care to the rules of prayer, research and inference, whether these rules are related to morality or other pillars of other pillars. The call, and recommended the researchers to study the rules of advocacy devised by scientists, to study them in root and practical study, and then the list of sources and references.

Keywords: Rules, Advocacy, Ethics, Study, Application.

المقدمة:

الحمد لله موفق من شاء بما شاء، والصلاة والسلام على خير الرسل والأنبياء، نبينا محمد وعلى آله وصحبه البررة الكبراء، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم البعث والجزاء، أما بعد:

فإن الله تعالى بعث نبيه بالحق والهدى، وأمره أن يبلغ الدين للثقلين الإنس والجن، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وما مات حتى أكمل الله به الدين؛ فكان هذا الدين تاما كاملا لا نقص فيه ولا خلل.

ثم جاء الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان إلى يومنا هذا؛ وساروا على نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل تشريعاته، ومن أبرزها الدعوة إلى الله تعالى، فاهتموا بها اهتماما بالغا.

والدعوة إلى الله تعالى قبل أن تكون عملا وتطبيقا في أرض الواقع؛ هي علم كسائر علوم الشريعة، له أصوله وأحكامه، وإن مما يتعين على الدعاة وطلبة العلم معرفته في هذا العلم – وغيره من العلوم الشرعية – القواعد متعلقة به؛ وبيان معانيها وأصولها وتطبيقاتها.

وبما أن الأخلاق أحد فروع هذا العلم الأساسية؛ فإن من الواجب معرفة القواعد المتعلقة بهذا الفرع، وكذلك معرفة أدلتها وتطبيقاتها؛ ومن هنا نشأت فكرة البحث في هذا الموضوع، وبعد الاستخارة والاستشارة والبحث والسؤال، استعنت بالله تعالى في كتابة هذا البحث، وعنونت له بـ (**القواعد الدعوية المتعلقة بالأخلاق – دراسة وتطبيقا**).

والله أسأل القبول والتوفيق والسداد والإعانة.

مشكلة البحث:

لقد وضع بعض المختصين والمهتمين بعلم الدعوة قواعدا لهذا العلم، إلا أن هذه القواعد جاءت مجردة عن التأصيل والتفصيل، فلا بد أن تدرس وتؤصل تأصيلا صحيحا من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح، وهذا ما سعى إليه الباحث من خلال هذه الدراسة.

أهميةُ الموضوعِ وأسبابُ اختيارِهِ:

تظهرُ أهميةُ هذا الموضوعِ في أمورٍ عدة؛ منها:-

أولاً: أهمية علم الدعوة، وحاجته إلى التقعيد والتأصيل أسوة بغيره من العلوم.

ثانياً: التأصيل العلمي للقواعد الدعوية.

ثالثا: الإسهام في ضبط علم الدعوة، وإخراجه إخراجا علميا له قواعده المؤصلة.

رابعاً: إثراءُ مكتبةِ الدعوةِ الإسلاميةِ بمراجعَ تكونُ عوناً للدعاةِ والباحثينَ.

أهدافُ البحثِ:

أولاً: طلبُ رضا اللهِ عزَ وجلَ.

ثانياً: رسم منهج واضح للدعاة، وذلك من خلال ربط الدعوة بقواعدها.

ثالثاً: بيان أهمية التقعيد والتأصيل لعلم الدعوة.

أسئلة البحث:

ستجيب هذه الدِّراسَة إن شاء الله- تعالى- عن الأسئلة الآتية:

س1: ما القواعد الدعوية المتعلقة بالأخلاق؟

س2: ما أهمية القواعد الدعوية المتعلقة بالأخلاق بالنسبة إلى الدعوة إلى الله؟

س3: ما الأصول التي تنطلق منها وتعود إليها القواعد الدعوية المتعلقة بالأخلاق؟

حدود البحث:

هذا البحث يختص بجمع القواعد الدعوية المتعلقة بالأخلاق التي وضعها العلماء المختصون بعلم الدعوة، واستنباط ما يمكن استنباطه من قواعد أخرى، ودراستها وتأصيلها من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح.

منهج البحث:

يقوم هذا البحث على المنهج الاستقرائي التأصيلي التطبيقي، المعتمد على جمع القواعد الدعوية المتعلقة بالأخلاق واستنباطها وتأصيلها وتطبيقها.

منهج الباحث وعمله:

التزم الباحث في دراسته بالأمور الآتية:

1- عزو الآيات بذكر اسم السورة ورقم الآية.

2- عزو الأحاديث التي يستشهد بها الباحث إلى مواقعها في كتب السنة.

3- توثيق القواعد المذكورة في الدراسة، وذلك بالإشارة إلى مصدرها في كتب أهل العلم.

4- القاعدة التي لم يذكر لها مصدر فإنها من استنباط الباحث.

5- ذكر أدلة كل قاعدة من القواعد وما يتفرع عنها، ثم الاستدلال على القاعدة من الكتاب والسنة، ثم ذكر تطبيق أو تطبيقين لها.

6- الاجتهاد قدر المستطاع في تدعيم البحث بأقوال الأئمة، ونسبة كل قول إلى قائله، مع عزوه إلى المصادر الأصليَّة، ما أمكن.

7- شرح ما يحتاج إلى توضيح من مفردات غريبة وعبارات غامضة، مما ورد ذكره في الأحاديث والآثار، وذلك بالرجوع إلى كتب اللغة وغريب الحديث.

الدِّراسَات الأكاديميَّة السَّابقة:

بعد البحث والسؤال لم أجد دراسة علمية تناولت القواعد الدعوية المتعلقة بالأخلاق، إلا أني وجدت بعض الكتب والمؤلفين الذين أشاروا إلى قواعد الدعوة عموما، ومن تلك الكتب:

1- كتاب بعنوان: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، للدكتور: عبدالرحيم المغذوي، جمع في أحد فصولها عددا من قواعد الدعوة؛ إلا أنه ذكرها سردا دون دراسة وتأصيل وتقسيم على أركان الدعوة.

2- كتاب بعنوان: قواعد الدعوة إلى الله، للدكتور: همام سعيد وضع فيه عددا من القواعد الدعوية، وهذا الكتاب أيضا ليس فيه تأصيل للقواعد التي وضعها، بل إن بعض هذه القواعد فروع لقواعد كبرى لا تصلح أن تكون قاعدة مستقلة.

فلا يوجد دراسة علمية متخصصة في القواعد الدعوية المتعلقة بالأخلاق وتأصيلها، حسب ما وصلت إليه من البحث، وعليه فإن دراستي هذه ستكون دراسة جديدة.

خطة البحث:

يشتمل هذا البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل على الآتي:

أسباب اختيار الموضوع، ومشكلة البحث، وأسئلة البحث، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، ومنهج الباحث، وخطة البحث.

المبحث الأول: خلق الرحمة.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: القاعدة (الدعوة الإسلامية رحمة للعالمين) وشرحها.

المطلب الثاني: الاستدلال على القاعدة.

المطلب الثالث: التطبيق على القاعدة.

المبحث الثاني: خلق الرفق.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: القاعدة (ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه) وشرحها.

المطلب الثاني: الاستدلال على القاعدة.

المطلب الثالث: التطبيق على القاعدة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

- **المطلب الأول: خلق الرحمة**
- **المبحث الأول: قاعدة: (الدعوة الإسلامية رحمة للعالمين)، مع شرحها:**

هذه القاعدة من أهم القواعد الدعوية التي يجب أن يستحضرها كل داعية إلى الله تعالى، ويُقصد بها: أن الدعوة الإسلامية إنما جاءت لرحمة المكلفين جميعا؛ من إنس وجن، ومسلم وكافر، بل إن رحمة الدعوة الإسلامية تشمل حتى البهائم.

ووجه كون الدعوة الإسلامية رحمة للعالمين؛ فإن: "من آمن بالله واليوم الآخر كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله، عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف"[2]، وأما البهائم؛ فقد أُمرنا بإحسان الذبحة إذا أردنا أن نذبح، وما ذاك إلا من رحمة هذه الدعوة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: «أمر رسول الله ﷺ بحد الشفار، وأن توارى عن البهائم النَّارِ» وقال: «إذا ذبح أحدكم، فليجهز النَّارِ» [3]، قال العلامة السعدي رحمه الله: "إن الشريعة كلها مبنية على الرحمة في أصولها وفروعها، وفي الأمر بأداء الحقوق سواء كانت لله أو للخلق، فإن الله لم يكلف نفسا إلا وسعها، وإذا تدبرت ما شرعه الله عز وجل في المعاملات والحقوق الزوجية وحقوق الوالدين والأقربين والجيران، وسائر ما شرع الله؛ وجدت ذلك كله مبنيا على الرحمة، لقد وسعت هذه الشريعة برحمتها وعدلها العدو والصديق، ولقد لجأ إلى حصنها الحصين الموفقُ من الخلق" [4].

وما ورد من نصوص الوحي الآمرة بالشدة في التعامل مع الكفار، كقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ (التوبة: ٢٩)، وغيرها من النصوص؛ فإن ذلك حالة استثنائية، وهي الحالة التي لا ينفع فيها اللين، فإنه حينئذ

---

[2] قاله ابن عباس رضي الله عنهما، الطبري، مجمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج 18، ص552.

[3] رواه ابن ماجه، كتاب: الذبائح، باب: إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، حديث رقم: 3172، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: 3130.

[4] السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، **الرياض الناضرة، والحدائق النيرة الزاهرة، والفنون المتنوعة الفاخرة**، ص: 61 .

تستعمل الشدة والغلظة حتى يدين الخلق لله عز وجل، وهذا من كمال الشريعة وحكمتها، قال العلامة ابن باز رحمه الله: "والخلاصة: أن الشريعة الكاملة جاءت باللين في محله، والشدة في محلها، فلا يجوز للمسلم أن يتجاهل ذلك، ولا يجوز أيضا أن يوضع اللين في محل الشدة، ولا الشدة في محل اللين، ولا ينبغي أيضا أن ينسب إلى الشريعة أنها جاءت باللين فقط، ولا أنها جاءت بالشدة فقط، بل هي شريعة حكيمة كاملة صالحة لكل زمان ومكان ولإصلاح جميع الأمة، ولذلك جاءت بالأمرين معا، واتسمت بالعدل والحكمة والسماحة فهي شريعة سمحة في أحكامها وعدم تكليفها ما لا يطاق، ولأنها تبدأ في دعوتها باللين والحكمة والرفق، فإذا لم يؤثر ذلك وتجاوز الإنسان حده وطغى وبغى أخذته بالقوة والشدة وعاملته بما يردعه ويعرفه سوء عمله ... ولا ينبغي للداعية أن يلجأ إلى الشدة والغلظة إلا عند الحاجة والضرورة وعدم حصول المقصود بالطريقة الأولى، وبذلك يكون الداعي إلى الله سبحانه قد أعطى المقامين حقهما وترسم هدي الشريعة في الجانبين، والله الموفق" [5]

[5] ينظر: ابن باز، عبدالعزيز بن عبدالله، **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز**، ج3، ص: 205-207.

- **المبحث الثاني: أدلة القاعدة:**

المسألة الأولى: الاستدلال بالقرآن الكريم:

1-قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ (البقرة: ٢٨٦)، ووجه الاستشهاد بالآية: أن من رحمة الله تعالى بعباده؛ أنه لا يكلفهم ما لا يطيقون، وإنما يكلف كل نفس بما تستطيع.

2-قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾ (الأعراف: ١٥٧)، فمن رحمة الدعوة التي جاء بها النبي ﷺ من عند الله عز وجل؛ أن يضع عنهم الآصار والأغلال التي في الشرائع السابقة، فهي دعوة جاءت بالرحمة للعالمين عموما، وللمؤمنين خصوصا.

3-قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، هذه الآية صريحة في أن دعوة النبي ﷺ رحمة لجميع الخلق.

المسألة الثانية: الاستدلال بالسنة:

1- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين قال: «إني لم أبعث لعانا، وإنما بعثت رحمة» [6]، ووجه الاستدلال بالحديث: أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يدعُ على المشركين لبيان أن دعوته التي بعث بها إنما هي لجميع العالمين.

2- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[7]، ووجه الاستدلال بالحديث: أن النبي عليه الصلاة والسلام أمر برحمة أهل الأرض جميعا، وهذا يشمل المؤمنين والكافرين، حتى البهائم التي لا تعقل، وهذا دليل على أن الدعوة الإسلامية جاءت رحمة للخلق جميعا.

3- عن شداد بن أوس رضي الله عنه، قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ، قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته» [8]، ووجه الاستدلال بالحديث: أن الدعوة الإسلامية رحمة للعالمين، حتى البهائم تشملهم رحمة هذه الدعوة التي أمرت بالإحسان في ذبح البهائم.

---

[6] رواه مسلم، كتاب: **البر والصلة والآداب**، باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها، حديث رقم: 2599.

[7] رواه أبو داود، كتاب: **الأدب**، باب: في الرحمة، حديث رقم: 4941، والترمذي، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في رحمة المسلمين، حديث رقم: 1924، وصححه الألباني في **السلسلة الصحيحة** برقم: 925.

[8] رواه مسلم، كتاب: **الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان**، باب: الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، حديث رقم: 1955.

- **المبحث الثالث: التطبيق على القاعدة:**
- **الحرص على هداية الخلق رحمة بهم من عذاب الله.**

يجب على الدعاة إلى الله تعالى أن يبذلوا وسعهم وجهدهم لإنقاذ الناس جميعا، وإخراجهم من ظلمات الكفر والبدع والمعاصي، إلى نور الإيمان والسنة والطاعة، وأن ينظروا إلى المدعوين نظرة شفقة ورحمة وحرص، فيفرحوا كل الفرح لهداية من يهتدي، فإن النبي ﷺ فرح بإسلام اليهودي، فعن أنس رضي الله عنه، قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار» [9]، فهذه رحمة من النبي ﷺ، جعلته يحرص ويبذل وسعه لإنقاذ الغلام اليهودي من النار.

فيجب على كل داعية إلى الله تعالى أن يتخلق بهذا الخلق العظيم؛ فيكون رحيما بالناس، يبذل وسعه لهدايتهم وإنقاذهم، وليجعل من أهم أهدافه في الدعوة إلى الله تعالى: رحمة الناس بتبليغهم دين الله تعالى، والسعي الحثيث على أن يستجيبوا لداعي الحق، وأن ينقذوا أنفسهم من عذاب الله تعالى بالدخول في دينه عز وجل، والتمسك به.

كما يجب على الدعاة إلى الله تعالى أن يقبلوا ويحتووا كل من جاء راغبا في دين الله تعالى، مهما كان عنده من غدرات وسيئات، فإن رحمة الله واسعة، فقد قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ﴾ (الأعراف: ١٥٦)، وعن أبي طويل شطب الممدود أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: أرأيت رجلا عمل الذنوب كلها، فلم يترك منها شيئا، وهو في ذلك لم يترك حاجّة ولا داجّة[10] إلا أتاها، فهل له من توبة؟

---

[9] رواه البخاري، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه؟، وهل يعرض على الصبي الإسلام، حديث رقم: 1356.

[10] هكذا جاء في رواية بالتشديد، قال الخَطَّابي: الحاجَّة: القاصدون البيتَ، والداجَّةُ: الراجعون، والمشهُور بالتخفيف، وأراد بالحاجَّةِ الحاجةَ الصغيرةَ، وبالداجَّة الحاجةَ الكبيرةَ، ابن الأثير، المبارك بن محمد، **النهاية في غريب الحديث والأثر**،ج: 2، ص: 101.

قال: «فهل أسلمت؟» قال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأنك رسول الله، قال: «نعم, تفعل الخيرات، وتترك السيئات، فيجعلهن الله لك خيرات كلهن» , قال: وغدراتي وفجراتي؟ قال: «نعم» قال: الله أكبر، فما زال يكبر حتى توارى[11]، فهذا موقف يبين لنا مظهرا من مظاهر الرحمة في دعوة النبي ﷺ، والتي يجب أن يتحلى ويتخلق بها الدعاة إلى الله تعالى.

[11] رواه الطبراني في المعجم الكبير، كتاب: **حرف الشين**، باب: شطب الممدود أبو طويل، حديث رقم: 7235، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم: 3164.

- **المطلب الثاني: خلق الرفق:**
- **المبحث الأول: قاعدة: (ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نُزع من شيء إلا شانه)، مع شرحها:**

المقصود بهذه القاعدة: أن الرفق زين في الدعوة إلى الله تعالى، وإذا نُزع الرفق من الدعوة فإن ذلك شين لها ونقص، وهذه القاعدة من أهم القواعد الدعوية، والتي يجب على الدعاة إلى الله العناية بها دراسة وعملا، لأن الرفق من أهم أخلاق النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، والذي كان من أهم أسباب نجاح دعوته عليه الصلاة والسلام.

والرفق هو: "لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف"[12]، ومن تأمل في سير الأنبياء بدءا بنوح إلى خاتمهم محمد عليهم الصلاة والسلام؛ يجد أن الرفق في دعوتهم هو المقدم والأساس عندهم، ولا يُجنح إلى الشدة والغلظة إلا في مواطن محددة، وفي حالات استثنائية، وإلا فإن الأصل والأساس هو الرفق واللين، والداعية اللين الرفيق أجدر بقبول دعوته، وانتشارها بين الناس، ولذلك أمر الله عز وجل كليمه موسى وأخاه هارون عليهما الصلاة والسلام بالرفق واللين مع فرعون، فقال عز وجل: ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ (طه: ٤٣ – ٤٤)، فبالرغم من طغيانه وجبروته؛ إلا أن الله تعالى أمر أنبيائه بالرفق معه، لأن الرفق سبب للقبول.

والرفق من صفات الله تعالى، ومن أسمائه عز وجل: الرفيق، فهو سبحانه رفيق يحب الرفق يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: "ومن رفق بعباد الله رفق به، ومن رحم خلقه رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن صفح عنهم صفح عنه" [13]، ولذلك كانت أحكام الشريعة الإسلامية مبنية على الرفق، وإذا وُجدت المشقة في أي حكم من الأحكام الشرعية؛ فإن التيسير يلازمه.

---

[12] ابن حجر، أحمد بن علي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج: 10، ص: 449.

[13] ابن القيم، محمد بن ابي بكر، **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، ص: 35.

والرفق في ذات الأحكام الشرعية، والعامل مأمور كذلك بالرفق في أدائها، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع، فيُغلب"[14].

والداعية الموفق؛ من يقتدي برسول الله ﷺ، ويجعل الرفق واللين خلقا له في دعوته، وسائر معيشته، وقد قيل: "الرفق رأس الحكمة" [15].

[14] ابن حجر، أحمد بن علي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج: 1، ص: 94.

[15] ابن حنبل، أحمد بن محمد، **الزهد**، ص: 44.

■ **المبحث الثاني: أدلة القاعدة:**

المسألة الأولى: الاستدلال بالقرآن الكريم:

1-قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ (آل عمران: ١٥٩)، فالغلظة – وهي: ضد الرفق – شين على الدعوة، وهي سبب في صد الناس عن قبولها، ففي الآية بيان سبب قبول الناس لدعوة النبي عليه الصلاة والسلام، وهو: اللين، وبيان ما يؤدي إلى النفور، وهو: الغلظة والشدة، وأمر وتأكيد على الرفق واللين، وذلك بالعفو والاستغفار والمشاورة.

2-قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ (التوبة: ١٢٨)، ووجه الاستدلال بالآية: أن الله تعالى امتدح نبيه عليه الصلاة والسلام، وامتن على عباده المؤمنين بأن أرسل إليهم النبي الكريم عليه الصلاة والسلام داعية لهم إليه، ومن أهم صفاته عليه الصلاة والسلام: الرأفة والرحمة، ومن الرحمةِ: الرفق.

3-قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ (النحل: ١٢٥)، فالموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن من الرفق المأمور به في الدعوة إلى الله.

4-قال الله تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ (طه: ٤٣ – ٤٤)، ووجه الاستدلال بالآية: أن الله تعالى قد سبق في علمه أن فرعون لن يؤمن، وسيموت على كفره، وقد أكدت هذه الآية أنه طغى في الأرض، ومع ذلك كله أمر الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام بالرفق واللين معه، لأن ذلك من

أسباب التذكر والاستجابة للدعوة، وإذا كان اللين والرفق مأمور به مع الطاغية فرعون؛ فإن من دونه أولى بالرفق.

المسألة الثانية: الاستدلال بالسنة:

1- عن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه» [16].

2- عن عائشة رضي الله عنها، قالت: استأذن رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليكم، فقالت عائشة: بل عليكم السام واللعنة، فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة؛ إن الله يحب الرفق في الأمر كله» قالت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: «قد قلت: وعليكم» [17].

3- عن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه» [18]

4- عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «من يحرم الرفق، يحرم الخير» [19].

---

[16] رواه مسلم، كتاب: **البر والصلة والآداب**، باب: فضل الرفق، حديث رقم: 2594.

[17] رواه البخاري، كتاب: **استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم**، باب: إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي ﷺ ولم يصرح نحو قوله: السام عليكم، حديث رقم: 6927، ومسلم، كتاب: **السلام**، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، حديث رقم: 2165.

[18] رواه مسلم، كتاب: **البر والصلة والآداب**، باب: فضل الرفق، حديث رقم: 2593.

[19] رواه مسلم، كتاب: **البر والصلة والآداب**، باب: فضل الرفق، حديث رقم: 2595.

- **المبحث الثالث: التطبيق على القاعدة:**
- **المسألة الأولى: الرفق في التعامل مع الخدم سبب لقبولهم الدعوة.**

إن من نعم الله تعالى على الإنسان أن يكون لديه خادم يقوم على شؤونه، ويقضي له حاجاته، فإذا كان عند الإنسان سعة في المال واتخذ خادما له؛ فإنه يجب عليه أن يشكر الله تعالى على هذه النعمة، وأن يحافظ عليها حتى لا تزول عنه.

وإن من الواجب على من كان له خدم أن يحسن إليهم، وذلك بالرفق في التعامل معهم، وعدم تكليفهم فوق طاقتهم، وإعطائهم أجورهم في وقتها كاملة بلا بخس؛ لأن ذلك خلق نبوي كريم، تخلق به رسول الله ﷺ، وأمر بالتخلق به، فعن أنس رضي الله عنه قال: "خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أف، ولا: لم صنعت؟ ولا: ألا صنعت؟"[20]، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إخوانكم خولكم»[21]، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم» [22]، فهذه الصفات التي أمر بها النبي عليه الصلاة والسلام؛ هي من الرفق في التعامل، وإذا تخلق الإنسان بهذا الخلق – وخاصة مع خدمه – فإنه ينال الأجر من الله تعالى، ويأمن من غدرهم، وتكون قلوبهم مفتوحة له، وآذانهم صاغية إليه، فيستطيع بذلك أن يعلمهم دين الله تعالى، ولربما كان ذلك سببا في إسلام الكافر منهم، فكم من شخص دخل دين الله تعالى بسبب أخلاق المسلمين ورفقهم، وكان الرفق في حد ذاته دعوة إلى الله.

- **المسألة الثانية: إيقاظ الأبناء إلى الصلاة بالرفق أولى من غيره.**

إن من أهم الواجبات الشرعية على الوالدين: تربية الأبناء وتعويدهم على الصلاة، وترغيبهم فيها من الصغر، وقد أمر النبي ﷺ الآباء بذلك؛ فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله

---

[20] رواه البخاري، **كتاب: الأدب**، باب: حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، حديث رقم: 6038، ومسلم، كتاب: الفضائل، باب: كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقا، حديث رقم: 2309.

[21] أي: **خدمكم وعبيدكم**، (ابن حجر، أحمد بن علي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ،ج: 1، ص: 115.

[22] رواه البخاري، كتاب: **الإيمان**، باب: المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا الشرك، حديث رقم: 30، ومسلم، كتاب: **الأيمان**، باب: إطعام المملوك ما يأكل، وإلباسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه، حديث رقم: 1661.

ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها، وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع» [23]، فهذا الحديث فيه الأمر بتعليم الأبناء الصلاة وأمرهم بها وهم أبناء سبع سنين، ولا يُشرع ضربهم إلا في العاشرة، أي: أنهم يُعلمون، ويُصبر على تعليمهم ثلاث سنين، وهي مدة كافية للتعود على الصلاة، فإذا لم ينتفع الغلام – بعد هذه المدة – بالتعليم والأمر بالصلاة؛ فإنه يُلجأ حينئذ إلى الضرب، والضرب لا يكون إلا برفق، يشعر الغلام بوجعه، دون أن يترك أثرا، وهو ضرب تعليم لا ضرب انتقام، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: "قوله: «اضربوهم عليها لعشر» الأمر للوجوب، لكن يقيد بما إذا كان الضرب نافعاً؛ لأنه أحياناً تضرب الصبي ولكن ما ينتفع بالضرب، ما يزداد إلا صياحاً وعويلاً ولا يستفيد، ثم إن المراد بالضرب: الضرب غير المبرح، الضرب السهل الذي يحصل به الإصلاح ولا يحصل به الضرر"[24].

ويتأكد الرفق عند إيقاظ الأبناء لصلاة الفجر، فإن ذلك الموطن عادة ما يكون فيه مشقة على الأبناء، فيوقظهم برفق، ويصبر عليهم، حتى يعتادوا ذلك، ولا سيما في وقت الشتاء، عندما يكون الجو في الفجر شديد البرودة، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: "أما مسألة صلاة الفجر فقد يقال: إنها فيها كلفة لا سيما في أيام الشتاء، وأنه ما دام لم يكلف ولم يجب على الصبي فإنه يسقط عن الولي"[25]، وعلى الآباء أن يصبروا ويسددوا ويقاربوا.

---

[23] رواه أبو داود، كتاب: **الصلاة**، باب: متى يؤمر الغلام بالصلاة، حديث رقم: 495، وقال الألباني: حديث حسن صحيح، (ينظر: صحيح أبي داود، حديث رقم: 509).

[24] ابن عثيمين، محمد بن صالح، **لقاء الباب المفتوح**، اللقاء رقم: 95 السؤال السابع.

[25] **المصدر نفسه**.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات:

أولا: النتائج:

1- أن علم الدعوة إلى الله تعالى: علم منضبط له قواعده وضوابطه، ولا يمكن للدعوة إلى الله تعالى أن تؤتي ثمارها إذا خرج الداعية إلى الله تعالى عن هذه القواعد والضوابط.

2- أن الأخلاق ركن رئيس من أركان الدعوة، ولهذا الركن قواعد معتبرة يجب على الدعاة إلى الله تعالى العمل بها.

3- أن الدعوة إلى الله تعالى قائمة على خلقين رئيسيين؛ وهما: خلق الرحمة، وخلق الرفق.

4- أن من مقاصد الدعوة إلى الله تعالى عند تبليغهم دين الله تعالى: رحمتهم؛ وذلك بإنقاذهم من عذاب الله تعالى الذي أعده للمعرضين عن دينه.

5- أن الأصل في الدعوة إلى الله تعالى أن تكون بالرفق، ولا يلجأ الداعية إلى الشدة إلا إذا تعذرت الدعوة بالرفق، وتيقن الداعية أو غلب على ظنه أن الشدة في ذلك الموطن هي الأصلح والأنسب.

ثانيا: التوصيات:

1- أوصي الدعاة إلى الله تعالى بأن يرحموا الناس؛ وذلك بتبليغهم دين الله تعالى، وأن يكون هدفهم الأساس من نشر الدين بين الناس الرحمة والشفقة.

2- أوصي الدعاة إلى الله تعالى أن يجعلوا الرفق هو الأصل في الدعوة إلى الله تعالى، ولا يلجأوا إلى الشدة إلا إذا دعت الضرورة لها.

3- أوصي الباحثين في علم الدعوة إلى الله تعالى أن يولوا القواعد الدعوية مزيد اهتمام وعناية، وبحث واستنباط، سواء كانت تلك القواعد متعلقة بالأخلاق أو بغيرها من أركان الدعوة.

4- أوصي الباحثين بدراسة القواعد الدعوية التي استنبطها العلماء، وأن يدرسوها دراسة تأصيلية وتطبيقية.

المصادر والمراجع

أولا: القران الكريم.

ثانيا: المراجع:

1- ابن الأثير، المبارك بن محمد (ت: 606هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناجي، (بيروت: المكتبة العلمية، د: ط، 1399هـ).

2- الألباني، محمد ناصر الدين (ت: 1420هـ)، **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، (الرياض: مكتبة المعارف، ط: 1، 1415هـ – 1422هـ).

3- الألباني، محمد ناصر الدين (ت: 1420هـ)، **صحيح ابن ماجه**، (الرياض: مكتبة المعارف، ط: 1، 1417هـ).

4- الألباني، محمد ناصر الدين (ت: 1420هـ)، **صحيح أبي داود**، (الكويت: مؤسسة غراس للنشر، ط: 1، 1423هـ).

5- الألباني، محمد ناصر الدين (ت: 1420هـ)، **صحيح الترغيب والترهيب**، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط: 1، 1421هـ).

6- الألباني، محمد ناصر الدين (ت: 1420هـ)، **صحيح الجامع**، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط: 3، 1410هـ).

7- ابن باز، عبدالعزيز بن عبدالله (ت: 1420هـ)، **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لابن باز**، جمع وإشراف: محمد بن سعد الشويعر، (الرياض: دار القاسم، ط: 1، 1420هـ).

8- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت: 256هـ)، **صحيح البخاري**، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، ومحمد زهير الناصر، (بيروت: دار طوق النجاة، ط: 1، 14222هـ).

9- الترمذي، محمد الترمذي (ت: 279هـ)، **سنن الترمذي**، تحقيق وتعليق: أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبدالباقي، وإبراهيم عطوة عوض، (مصر: مكتبة مصطفى الحلبي، ط: 2، 1395هـ).

10- ابن حجر، أحمد بن علي (ت: 852هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تعليق: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، ترقيم وترتيب: محمد فؤاد عبدالباقي، (الرياض: دار السلام، ط: 1، 1421هـ – 2000م).

11- ابن حنبل، أحمد بن محمد (ت: 241هـ)، **الزهد**، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط: 1، – 1420هـ – 1999م).

12- أبو داود، سليمان بن الأشعث (ت: 275هـ)، **سنن أبي داود**، تحقيق وترقيم: محمد محيي الدين عبدالحميد، (صيدا – بيروت: المكتبة العصرية، د: ط، د: ت).

13- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر (ت: 1376هـ)، **الرياض الناضرة، والحدائق النيرة الزاهرة، والفنون المتنوعة الفاخرة**، (القاهرة: دار المنهاج، ط: 1 – 1426هـ – 2005م).

14- الطبراني، سليمان بن أحمد (ت: 360هـ)، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، (القاهرة: دار ابن تيمية، ط: 2، د: ت).

15- الطبري، محمد بن جرير(ت:310هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1420هـ – 2000م).

16- ابن عثيمين، محمد بن صالح (ت: 1421هـ)، **سلسلة لقاء الباب المفتوح**، (د: ط، د: ت).

17- ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت: 751هـ)، **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، تحقيق: سيد إبراهيم، (القاهرة : دار الحديث، ط: 3، 1999م).

18- ابن ماجه، محمد بن يزيد، **سنن ابن ماجه**، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، (حلب: دار إحياء الكتب العربية، د:ط، د: ت).

19- النيسابوري، مسلم بن الحجاج (ت: 261هـ)، **صحيح مسلم**، ترقيم وتحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، (بيروت: دار التراث العربي، د: ط، د: ت).